

اسم المحاضرة: التوظيف السياسي للفكر الديني

اسم المحاضر: الدكتور فراس سعد الدين

الأكاديمية العربية الدولية - منصة أعد



محاور المحاضرة

- المقدمة.
- مفهوم الإرهاب.
- الفرق بين الإرهاب وجهاد الدفاع.
- إشكالية الأنماط الآخرين.
- الخاتمة.

• المقدمة

يكتسي التطرق للقضية الدينية، وللإسلام السياسي أهميةً بالغة. فالتيارات الإسلامية السياسية بمختلف أشكالها واتجاهاتها، تمتلك حضوراً فاعلاً في الحياة السياسية، وفي حياة المجتمع بشكل عام. وهي تطرح توجهاتها من خلال الربط والتلازم بين الإسلام كعقيدة وعبادات، وقيم وجودانية وأخلاقية، وبين مشروع الإسلام السياسي المتمثل بالدولة الدينية المبنية على أسس الشريعة الإسلامية، كمصدر وحيد للتشريع.

كما تسعى تلك التيارات إلى احتكار التراث الإسلامي، من خلال النظرة الأحادية في التعامل معه، لتجييره لمشروعها السياسي، عبر خلق هوية إسلامية إنعزالية، منكفة على نفسها، وتجعل من الآخر عدواً دائماً لها.

ولا تتصب مسعى قوى الإسلام السياسي على أسلمة الدولة فحسب، بل تسعى أيضاً لأسلمة المجتمع سياسياً، من خلال فرض أنماط معينة للسلوك الاجتماعي، وطرق للمعيشة اليومية، من خلال أساليب القهر التقليدية في المجتمعات. ويتزامن هذان المشروعان من خلال استغلال الهوية الإسلامية لأغلبية جماهير شعبنا، والتي هي هوية حضارية وجودانية، أكثر من كونها هوية دينية سياسية.

• مفهوم الإرهاب

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول الماضي، ركز الخطاب السياسي الأمريكي، وأجهزة الإعلام وبعض مراكز الدراسات الغربية، على إطلاق مفاهيم، سبق وأن طرحت منذ نهاية الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفيتي، وذلك بشكل تجريدي.

لقد أصبحت بعض المصطلحات، كالإرهاب وصراع الحضارات، وتصادم الإسلام والمسيحية واليهودية، الشغل الشاغل للكثير من أجهزة الإعلام. وجرى الحديث أيضاً عن «الإسلام والعنف» و«العرب والإرهاب»

• مفهوم الإرهاب

وانبرى العديد من حملة الفكر النيوليبرالي في المنطقة العربية، تقديم الخدمات لتلك الدوائر الغربية، عبر الحديث عن «العقلية الفاشية العربية الإسلامية»،

وكون العقلية العربية في «غياب التاريخ»، ولا علاقة لها بالمعاصرة،

أو أنها سقطت من القطار الحضاري، وهي تسبح ضد التيار الذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية بحضارتها الجديدة وإنجازاتها التاريخية. وقد استغل هذا الخطاب، طروحات بعض الجهات السياسية المتطرفة، التي تبني الإيديولوجية الدينية، عبر فهمها السياسي الخاص للفكر الإسلامي، والتي تضفي المشروعية من خلاله على أفعال وجرائم إرهابية.

• مفهوم الإرهاب

وجرى الخلط بين ما تمارسه تلك الجهات الإسلامية المتطرفة، من ممارسات، هي في جوهرها ممارسات سياسية مبنية على فهم بشرى للفكر الديني، وبين عموم الفكر العربي الإسلامي، وفكر وممارسات الشعوب المناضلة ضد الهيمنة والتبغية، ومن أجل التحرر والتقدم الاجتماعي.

السؤال الذي يطرح هنا هل لمفهوم الإرهاب تأسيس تاريخي في فكر شعوب المنطقة العربية - الإسلامية؟

يتعلق مفهوم الإرهاب في الفكر والممارسة في الحضارة العربية - الإسلامية، لدى بعض المستشرقين، وفي ذهنية دعاة صدام الحضارات، بمشروعية استخدام القوة والعنف، وقتل الخصم وترويعهم من قبل المسلمين.

• مفهوم الإرهاب

ويتعامل هؤلاء مع النصوص الإسلامية المقدسة وال المتعلقة بهذا الموضوع، ضمن سياق يجرد النص من الواقع التاريخي، كما يحكم ويحلل، ويضفي المشروعية من عدمها على حوادث، جرت قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، بمعايير عالم اليوم.

ومثل هذا المنهج، إضافةً إلى عدم صحته ودقته من الناحية المعرفية، منهج الغرض منه النبش في الماضي من أجل الوصول إلى مسوغات، لتبرير الحاضر، أو إعطاء صورة مشوهة عن الآخر.

• مفهوم الإرهاب

يتنازع هذا النهج النيوليبرالي لبعض المفكرين الغربيين في تحليل تاريخ المسلمين وتراثهم ومعتقداتهم، مع وجهة نظر خصومهم من بعض التنظيمات السياسية الإسلامية الذين يتبنون الإيديولوجية الدينية، ويستندون على فهمهم للدين الإسلامي على أساس ذرائعة مبنية على أفكار تجريدية دينية أو سياسية وتبسيطات وخرافات تعكس التشوش الفكري اللاعقلاني في فهم التاريخ. وتتحدث بعض هذه القوى باسم الإسلام، دون أن تكون مخولة بذلك من قبل الجماهير المسلمة.

ولا يمكن وضع هذه التوجهات إلا ضمن سياق فهم بشرى للنarrative النصوص الدينية وتأويلها، مبني على تجريد النص الديني من الظروف التي استوجبتها.

من ناحية أخرى يمكن أن يجد الباحث في التاريخ الإسلامي وفي العقيدة الإسلامية، نصوصاً توصل إلى استنتاجات مغيرة لما يتوصل إليها دعاة التطرف الديني.

• مفهوم الإرهاب

تنتهج الجهات المتطرفة أسلوباً إكراهياً في حق الأفراد داخل المجتمعات الدولية، ومن المتعارف عليه أنّ الإرهاب لا هدف له ولا دين له، وكما أنه لا يلتزم بقانون ويخالف كل ما يحترم الإنسانية والأديان، وكما أنه يفتقر إلى الأهداف المشتركة بين الجهات المتطرفة.

إن التعتنّي الديني ظاهرة تاريخية، وهي لا تشمل مجالاً محدداً، فنجد هذا التعتنّ في مجال التعامل مع الآخر من ناحية العقيدة، وفي مجال الفقه سواء في أحكام العبادات أو في أحكام المعاملات، وفي معرفة وتحديد العلاقات الدولية ضمن الفهم الإسلامي.

وفي مقابل التعتنّ الديني،

هناك أيضاً التسامح الديني وتقبل الآخر والتساهل، واللجوء إلى الإقناع والجدل الذي هو أجدى وأحسن من الجبر والقسر والإكراه.

• مفهوم الإرهاب

الإرهاب لغةً: مصدر لفعل الثلاثي "رُهْب" ومعناه خاف وفزع ورُعب، فالإرهاب هو الإخافة والإفراط. وبموجب تعريف أردفه القانون الجنائي فإن الإرهاب هو أيّ عمل أو فعل يُلحق العنف بالأفراد، ويسلب نعمة الأمن والأمان من الحياة المجتمعية في بلد ما، وخلق أجواء من التوتر والخوف، ويكون هدفه سياسياً والإساءة لطائفة دينية معينة، أو يكون الهدف أيديولوجياً، ويلحق الضرر بحياة الأفراد، ومنتجاتهم وتعتبر أعمال العنف هذه انتهاكات حربية غير مشروعية، وتفرض هذه الجماعات الإرهابية قوانين خاصة بها تكون إجرامية وتنتهج تكتيكات مماثلة.

• الفرق بين الإرهاب وجهاد الدفاع (الدفاع عن الوطن):

يمكن القول أن جهاد الدفاع يعني في النشيريات السياسية المعاصرة حق المقاومة المشروعية في حالة تعرض البلد أو الوطن إلى الغزو.

فهو في الأساس فعالية سياسة تهدف درء المفسدة، وتحقيق مصلحة معينة.

ولما كان الجهاد عموماً يعني بلوغ المشقة، وبذل الجهد، وقد يكون بالأموال والأنفس، فلا يجوز حصر جهاد الدفاع بالقتال فقط.

فإذا كان درء المفسدة وجلب المصلحة، والذي يعني إخراج المحتل وإستعادة السيادة، يتم بطرق أخرى،

و خاصة في الظرف الحالي، كأن يكون هناك عصيان مدني أو إضراب عام، أو الحوار والتفاوض مع الآخر من أجل تحقيق الهدف أي جلب المصلحة للوطن وإخراج المحتل، فيجب خوض كل هذه الأساليب الجهادية العصرية.

• الفرق بين الإرهاب وجهاد الدفاع (الدفاع عن الوطن):

أن القتال واستخدام السلاح أسلوب مشروع من أساليب جهاد الدفع، و هو ليس الأسلوب الأوحد. وينبغي توفير مستلزمات هذا الاسلوب من جهاد الدفع. وهذه المستلزمات تخضع لموازين القوى السائدة والقدرة الفنية على القتال، وخاصة في ظل التكنولوجيا العسكرية الحديثة واسلحة الدمار الجماعي، والتي يتتفوق العدو على المسلمين فيها.

ولكي لا يؤدي القتال كأسلوب في ممارسة جهاد الدفع إلى جلب المفاسد، بدل درئها، والقاء الناس في التهلكة، يجب أن يكون القرار باتخاذها صادراً منولي أمر المسلمين. ولا يجوز لكل عالم أو مفتى أن يعلن القتال من جانبه، أو يدعو الناس إلى القتال، لأن مستلزمات القتال وخوضه مسألة تتعلق بجوانب فنية وعسكرية، تخرج من اختصاص المفتى أو العالم الديني.

• الفرق بين الإرهاب وجهاد الدفاع (الدفاع عن الوطن):

تختلف الأعمال القتالية في حالة جهاد الدفاع، عن أعمال إرعب الناس وإرهابهم وإخافتهم.

فالقتال في حالة جهاد الدفاع لا يعني القتل العشوائي للناس الآمنين من نساء وشيوخ وأطفال. ولا يعني هدم البنى التحتية وهدر ثروات المواطنين، أو تفجير السيارات المفخخة، أو الأعمال الانتحارية. وتكون محصلة ونتائجها بقاء المحتل وتعريض الناس للقتل، وعدم الحصول على شيء.

فالقتال في الوقت الحاضر ليس مجرد مبارزة بالسيف والرماح بين شخص وآخر. ودماء المسلمين ليست أرخص من دماء الناس الآخرين.

وعلىولي الأمر أن يحافظ على هذه الدماء الزكية. وإن كان لا بدّ من بذل الدماء وتقديم التضحيات، فلا بدّ أن يكون اتخاذ قرار القتال وفق حسابات دقيقة، مبنية على الحرص على كل قطرة دم من دماء المسلمين في جهادهم وسعيهم إلى استعادة سيادة وطنهم. ولا ضير من تجريب أساليب أخرى تحقق المنفعة المطلوبة قبل اتخاذ قرار القتال.

• الفرق بين الإرهاب وجهاد الدفاع (الدفاع عن الوطن):

يتميز الإرهاب بأنه:

استخدام العنف بشكل غير مشروع والتهديد بوسائل عمدية من شخص أو منظمة أو دولة تثير الرعب والفزع في النفوس.
تصف هذه الظاهرة بالتخفي والتخطيط والتنظيم المسبق لها أي كان القائم بها.
ترتبط جريمة الإرهاب بالأغراض السياسية.

أما المقاومة:

فهي تعمل في البلدان التي تقع تحت السيطرة الاستعمارية، ردًا على اعتداء .
 تقوم على القتال بوسائل عسكرية المتاحة.
 لها نشاط شعبي، يشترك فيها المدنيون.

• الفرق بين الإرهاب وجهاد الدفاع (الدفاع عن الوطن):

وللمقاومة شروط يجب أن تتحقق حتى تكون م مشروعه:

- وجود احتلال في أراضي المقاومة.
- قيام أفراد الشعب ب أعمال المقاومة.
- أن تكون المقاومة ضد قوات الاحتلال العسكرية.
- ان تكون داخل حدود الأراضي المحتلة.

وقد اعترف المجتمع الدولي بشرعية المقاومة من خلال إقرار مبدأ الحق في تقرير المصير والذ جاء أيضاً في ميثاق الأمم المتحدة حق الدفاع عن النفس داخلياً يسمح لكل فرد أن يدافع عن نفسه وماله وعرضه ضد كل اعتداء، وهذا الحق تم تأييده من المواثيق والعمل الدولي.

تعد المقاومة وسيلة من وسائل المساعدة الذاتية التي تستهدف إزالة العدوان.
وتتميز أعمال المقاومة عن الإرهاب بأنها ذات طابع شعبي، ولها طابع الدافع الوطني،

• إشكالية الأن والآخر:

ثمة اشكاليات متعددة في أسس و ماهية الهوية الطائفية وأبعادها ومجالها التداولي، سواء على الصعيد الداخلي للطائفة والحديث عن وحدة مزعومة فيها، أو على الصعيد الخارجي فيما يخص علاقة الهوية الطائفية كشكل من أشكال الهويات الثقافية والخصوصيات المحلية بغيرها من هويات ثقافية أخرى من جهة، و علاقتها بالهوية الوطنية العامة من جهة أخرى، والتي تفترض أن تكون مبنية على أسس المواطنة و حقوق و واجبات المواطن الفرد بغض النظر عن انتماءاته القومية والطائفية والعرقية

وفي حالة التخلل وعدم التوازن بين الهوية الوطنية والهويات المحلية، نتيجة عوامل عديدة منها فقدان الإنتماء لروح المواطن و عدم الحصول على الحماية من الدولة التي يفترض أن تحمي القيم المعيارية للكينونة الوطنية العامة بصفتها منظمة للفسحة الجماعية والمجال الحيوي المشترك بين مجمل الهويات والخصوصيات المحلية، يكون انتماء الفرد في مثل هذه الحالة للهوية المحلية سعياً منه لإيجاد الحماية المطلوبة بديلاً عن الإنتماء للهوية الوطنية. ويحدث مثل هذا الأمر عندما تكون سياسة الدولة مبنية على القسر والإلغاء والقمع.

• إشكالية الأن والآخر:

لقد خلقت سياسات الديكتاتورية الحاكمة منذ عقود حالةً من الإحساس الجماعي داخل طوائف ومجتمعات عرقية وقومية ودينية، بكونها مستهدفة من قبل طائفة أخرى. وينجم عن الأمر احساس بالغبن والمظلومية. في حين ان جوهر هذه السياسات نابعة أساساً من تفرد مجموعة بالحكم، تمارس القمع والتنكيل باسم القومية السائدة والطائفة المعينة، دون أن تكون على الأساس مخولةً من قبل تلك الطائفة والقومية

إن هذه السياسات التي تخلق لدى الآخر شعوراً بالغبن والمظلومية، يجري التعبير عنها أو الرد عليها بالحديث عن الوحدة الطائفية الموهومة والتقوّع داخل الهوية المحلية الطائفية عبر منطق التمايز والمطابقة والثبات والحفاظ على الجوهر الحقيقي والصفاء المرجعي للطائفة والمذهب.

تخلق هذه الحالة أيضاً نوعاً من الشك والريبة تجاه الآخر والهويات المحلية الأخرى ضمن معسكر خصوم الديكتاتورية،

• إشكالية الأنّا والآخر:

تأتي ضرورة الحوار المبني على قبول الآخر بوصفه شبيهاً ومشتركاً معنا في أمور معينة، ومختلفاً في الوقت نفسه في أمور أخرى، وضمن آلية الحق في اختلاف وجهات النظر والمساواة في الحقوق في الوقت نفسه.

إن ثنائية الأنّا والآخر تتطلب الفصل بين الفكر واحتكار الحقيقة، فيجب أن تفهم الحقائق في ضوء نسبيتها واعادة خلقها وانتاجها وتتجددتها واغناءها المستمر. في حين تنتج عن القراءة الأحادية المبنية على منطق التطابق والمماثلة والإستنساخ نفي الآخر ومنع اشرافه في اقرار القضايا المصيرية، وبالتالي لا يمكن سوى توقيع المزيد من القمع والإستئصال. وفي هذه النقطة الجوهرية تكمن جوهر الديكتاتورية الحاكمة وحقيقة أزمتها الخانقة.

• الخاتمة

الإشكالية الأساسية في مجال مشروعية السلطة في مختلف المذاهب الإسلامية مغالياً كانت أو معتدلة، تكمن في وجود التناقض بين الممارسة الفعلية الناجمة عن التجربة التاريخية الإسلامية، المتأثرة بالتوازنات السياسية والاجتماعية السائدة، والنتائج العملية لتلك الصراعات من جهة، وبين نظرية المعرفة الإسلامية المبنية على الإيمان الديني والعودة إلى المصدر الإلهي، والبحث عن مشروعية السلطة ضمن هذه النظرية. وفي المحصلة النهائية جرت المحاولات ضمن هذا النطاق من أجل تكييف النص الديني أو التفسير الفقهي مع النتائج العملية للصراعات على السلطة من قبل المنتصرين، أو لضرورات السعي من أجل الحصول على السلطة من قبل المعارضين. وهذا ما جعل مشروعية السلطة ومفهوم الإمام الحق موضع تساؤل طوال تاريخ الإسلامي.